حريتها بيده !

ابتسام العسيري

تحدث كثيرون وتحدثنا معهم عن الحريات وحقوق المرأة ، وعقدت لهذا الغرض مؤتمرات وندوات عالمية .. وفي كثير من أحاديثهم وأحاديثنا نجد إما التطرف أو التمييز ، كل بحسب انحيازه لخلاصة أفكاره وثقافته وانتماءاته ، تعبنا ولم يتعبوا من ترديد الشعارات ليلا و نهارا ، وانقسمنا بين من يدعو الى حرية المرأة والدفاع عن حقوقها ، ومن يدعو الى التمييز ضدها وامتهان حقوقها . .

من نافل القول ان قضية الدفاع عن حقوق المرأة بدأت في الثامن من مارس عام 1908 حين قامت النساء اللاتي يعملن في مصنع النسيج في شيكاغو بمظاهرات ضد الظلم والاضطهاد والقهر الذي عانين منه ، وقد ظلت المرأة ولا تزال تكافح للحصول على حقوقها والدفاع عن مكتسباتها وبضمنها حريتها. وعليه يجب علينا أن نفهم قضية المرأة وتحررها وقبل أي شيء آخر يتعين أن نعي ونفهم ما هي الحرية بمفهومها وجوهرها وحدودها وقيمها ، وفي السياق ذاته يجب أن نعرف ونحدد أين تكمن حرية المرأة التي تبحث عنها بحسب تعريف الحرية وجوهرها الحقيقي.

الحرية حق الفرد الذي يمكنه من اختيار وتقرير طريقة حياته واكتشاف معنى وجوده على أن لا تتجاوز حريته حرية الآخرين ومراعاة ثقافاتهم ومصالحهم وطريقة تفكيرهم وحياتهم .

إذا الحرية حق فردي لكل إنسان يعيش على هذه الأرض وليس من الصواب أن يعلق الفرد أخطاء فهمه ونظرته المغلوطة على شماعة هذه الحرية ، فالخطأ ليس في الحرية وممارستها ولكن يكمن الخطأ في كيفية فهمها وممارستها .

بمعنى أن الحرية لا تتحقق إذا كان العقل مستعبداً، والتفكير غير مستقل .وفي هذا الشأن لنتأمل حرية المرأة إلى أي مدى وصلت قضيتها.

يقال عندما يزيد الشيء عن حده ينقلب إلى ضده، وهذا ما تعلمنا إياه الحياة وما تعلمنا إياه التجارب خصوصاً في الظروف الراهنة التي يعاني منها هذا العصر من ظواهر سلبية القت بظلالها السلبية على المجتمعات وأثقلتها بمشاكلها، ففي الشرق أدت ظاهرة التطرف الديني والمجتمعي التقليدية إلى المبالغة في حبس المرأة في المنزل ومنعها من العمل أو التعليم بذريعة درء مخاطر اختلاطها بالرجال وإثارة الفتنة والمثير للدهشة أن المجاهدين في أفغانستان اختلفوا على السلطة وتقاتلوا فيما بينهم عندما وصلوا إلى الحكم واغرقوا أفغانستان بالدماء والخراب ،فاختلفوا في كل شيء لكنهم اتفقوا على المرأة حيث اجمعوا على حبسها في المنزل وحرمانها من التعليم والعمل .

وفي الجانب الآخر اتجه التطرف العلماني في الغرب إلى الإفراط في فهم حرية المرأة حتى أن المرأة أضحت مجرد جسد وسلعة يتاجر بها في أسواق الدعاية والإعلانات والسياحة ، كما أدى الإفراط الهائل في دمج المرأة بالنشاط الاقتصادي والسياسي للمجتمع الصناعي الحديث إلى قطع صلة المرأة العاملة بالأسرة والمنزل حتى وأن كانت تعمل في مجالات انتاجية وعلمية وتنجز أعمالا جادة وبناءة ، الأمر الذي تسبب في ضعف العلاقة الزوجية وضعف علاقة الأسرة بالأطفال الذين أصبحت تربيهم مدارس ومجمعات متخصصة بتقديم العناية والخدمات الانسانية للطفولة ، ولم يعد بمقدور الزوج والزوجة وأطفالهما أن يعيشوا حياة إنسانية مشتركة إلا في أوقات الإجازات.

بحسب كل ما تقدم من الواضح أننا أمام مشهدين متناقضين تكون المرأة فيهما هي الضحية الأولى نتيجة للفهم الخاطئ لحرية المرأة. ففي المشهد الأول يتم المبالغة في الدعوة إلى حرمان المرأة من حريتها بحبسها في المنزل وتفريغها للأعمال المنزلية والأطفال والعلاقة الزوجية وخدمة الذكور من أفراد عائلتها ، ومنع دمجها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحرمانها من حقوقها في العمل والتعليم.

وفي المشهد الثاني تجري المبالغة في إخراج المرأة من المنزل والتعامل معها كجسد أحيانا وككيان اجتماعي مندمج في المجتمع على حساب الأسرة أحياناً أخرى.

نلاحظ في المشهدين أن المرأة ضحية للعدوان على قيم الحرية وطمس أبعادها الانسانية بفعل تأثير الثقافة و العادات والتقاليد الاجتماعية القديمة أو النظرة المادية لثقافة الحداثة . مع الأخذ بعين الاعتبار أن تبعية المرأة للرجل على مدى التاريخ وقهرها أوجد إرثا ثقيلا من القيود التي تحول دون ممارسة نشاطها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي بحرية و بشكل متزن.

يبقى القول أنه على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين معظم الايديولوجيات والثقافات المختلفة إلا أنها وحتى الآن لم تستطع أن تحدد الصيغة القانونية لاستحقاقات المرأة وكيف يمكن ذلك ولم تستطع المرأة نفسها التحرر من ضعفها وسيطرة الفكر الذكوري على مر العصور ، فهي من خلال نظرتها إلى قضية تحررها لا تزال تنظر إلى هذه القضية من خلال الرجل وترى أن حريتها بيد الرجل وتطالبه أما بالدفاع عن حريتها أو بمنحها هذه الحرية.

سعودية تهرب من زوجها الذي أجبرها على أكل فضلاته

كتبت صحيفة "سبق" السعودية أن سيدة سعودية هربت من زوجها الذي كان يحبسها في دورة المياه، إضافة لضربه وتعذيبه وكيه لها، حيث استغلت المرأة فرصة دخول زوجها إلى دورة المياه ولجأت إلى مركز شرطة الحفاير بمحافظة خميس مشيط للاحتماء داخل المركز.

وقالت السيدة "ن. ج" للصحيفة "عمري 20 سنة، ولديّ ابنة عمرها ثلاث سنوات، وقد تزوجت من ست سنوات، وزوجي يعذبني بالضرب بلوح من الخشب وبالكي بالنار والحبس في الحمام، وعندما أعطش يضع لي البول والبراز، ويجبرني على أكلها، إضافة إلى التعذيب، وجميع من في الحفاير يعرفون قصتي".

وأشارت المرأة إلى أن زوجها مطلوب أمنياً في قضايا عدة، وأن والدها وأسرتها في الرياض ولا تستطيع الوصول إليهم.

وطالبت الزوجة بتدخل الجهات المعنية في قضيتها وإعادة طفلتها إليها وحمايتها من عنف زوجها. كما طالبت بتدخل هيئة حقوق الإنسان والشؤون الاجتماعية وإيوائها.

وعلمت "سبق" أن إجراءات جارية من قبل شرطة الحفاير لتحويل الحالة إلى مستشفى خميس مشيط المدني، كما تم استدعاء أحد رجال الهيئة لمتابعة القضية.

وذكرت الصحيفة أنها المرة الثالثة التي تشتكي فيها هذه الزوجة إلى شرطة الحفاير ويرفض والدها استلامها ويطلب إعادتها إلى زوجها، وفي كل مرة يعيدها بنفسه لزوجها، حيث إنه متزوج من امرأة أخرى ولا يقبل استلامها.

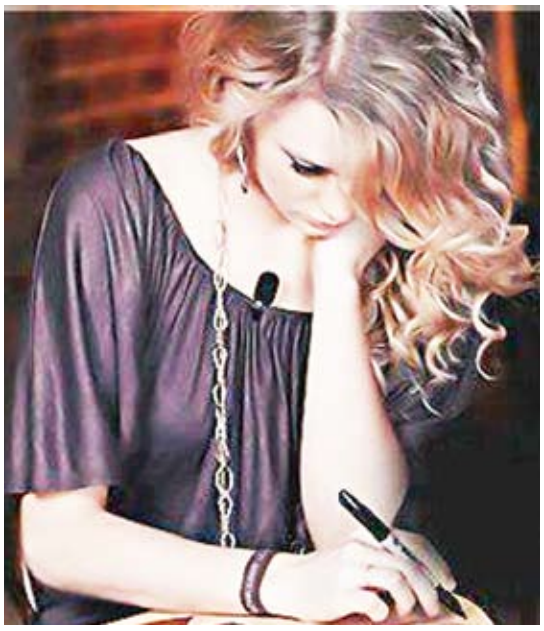

أوراق امرأة

اليوم ..أنا امرأة أخرى.. اليوم ..سألبي نداء قلبي المتأرجح بين زوابع الانتظار وعواصف النسيان .. اليوم..سأتصالح مع أوراقي.. سأسكب عليها مداد قلبي يغلي كقهوة الصباح.. سأروي ظمأ الأوراق .. سأطفئ لهيب اشتياقها وجمر حنينها إليك ..سأرسمك على جدران قلبي .. على مدارج السطور سأزرعك على شرفة الحروف .. سأوشح باسمك صباحات كل الفصول .

كيف راودتني نفسي الحمقاء على نسيانك ؟

أية حماقة هذه التي كنت سأسطرها في تاريخ عمري وعمر أوراقي ؟

كيف أمزق وردة تنام بين صفحات دفتري.. تغفو على وسادة السطور..تلتحف حروف المدِّ .. وتتدثر بتنوين الضم وعلامات السكون ؟

اليوم أفقت عليك تداعب أنفي بوردة حمراء كتلك التي كنت أنا وأنت نقطف ورودها في لحظات الجنون..ألقي إليك بأوراقها.. فتلقي إلي بقلبك مسطراً بعذب الحروف .. أذوب أنا فيها .. أغيب عنك .. ألملم ما تبعثر من أنفاسي..كنت حمقاء حين كنت أخفي عنك رغبتي بالمزيد.. حين كنت أخفي هالات الحبور التي كانت ترتسم في بؤبؤ عيني لحظة العناق مع الحروف..

اليوم أنا نضجت..المرأة بداخلي نضجت..الأنثى بداخلي نضجت.. عواصف النسيان رحلت عن فكري..تصالحت مع الحلم ووعدني أن ينتظرك..في المساء..في الصباح.. في الظهيرة.. قبل الغروب..بعد الغروب .. في ساعات السحر قبل موعد الشروق..تصالحت مع الحروف .. وعدتها أن أرسلها في كل ساعة إليك..في كل دقيقة..في كل ثانية ..ستطوقك الحروف بذراعيها المحبة وتعانقك .. فأنى لك منها الهروب ؟

تصالحت مع أوراقي..وعدتها بأن أرسمك ليس فقط على جدران قلبي وفكري وخيالي..إنما بين السطور وفوق السطور وتحت السطور..في الهوامش والزوايا.. بين الجمل..فوق جميع علامات الاستفهام ..أنت اليوم خارج علامات الاستفهام .. أنت اليوم في عقر قلبي وبين ذراعيّ .. حتى لو زرعتَ خيمتك باب دارها وأطلت المكوث..أنت منذ اللّحظة قلبي .. ولن تغادر قلبي.. لن تغادر أوراقي ..لقد استدعيت الحلم .. أنت منذ اللحظة فارس أحلامي .. فاشهدي عليّ يا حروف .. واشهدي يا أوراقي .

النزاع المسلح مصدر رئيسي للعنف ضد المرأة